يتساءلون ما هو القيام من الأموات

على الرغم من أن قصة التجلي ذكرت في أناجيل متى ومرقس ولوقا إلا أن القديس مرقس هو الوحيد الذي علق على رد فعل التلاميذ لطلب الرب منهم ألا يحدثوا أحداً بما أبصروا إلا متى قام ابن الإنسان من الأموات. فقد وصف رد الفعل هذا بقوله: "فحفظوا الكلمة لأنفسهم يتساءلون ما هو القيام من الأموات" (مر ٩:١٠)

لقد كانت القيامة في ذلك الوقت بالنسبة للتلاميذ خبراً غامضاً وبالتالي بدلاً من أن يبعث في نفوسهم الفرح والبهجة أثار فيها الحيرة والتساؤل. أما رد فعلهم بعد قيامة الرب الفعلية فقد اختلف تماماً حيث صارت القيامة واقعاً حياً يعيشونه بكل كيانهم مبدداً كل أحزانهم متجلياً في كرازتهم.

وعلى الرغم من أن المسيح قد قام حقاً، وعلى الرغم من أننا نكرر هذه العبارة في تحيتنا بعضنا لبعض طوال فترة الخماسين المقدسة إلا أن القيامة بالنسبة لكثيرين مازالت خبراً غامضاً يتساءلون عن ماهيته دون أن يتذوقوه أو يعرفوه معرفة الاختبار في حياتهم. إنها بالنسبة لهم مجرد قصة يقرئونها وعلى أفضل تقدير يقصونها على آخرين إذ أنهم يعتبرونها قصة المسيح وليست قصتهم الشخصية. وبالتالي تنطبق عليهم عبارة بولس الرسول المرعبة: "هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه" (عب٦:٦). يعني ذلك أنه على الرغم من أن المسيح قد قام حقاً وفعلياً إلا أنه مازال مصلوباً ومقبوراً في حياة الكثيرين الذين لم تُستعلن فيهم القيامة بعد. وإن كان المسيح قد قام حقاً فإن كل من لم يقم بعد لا يكون مسيحياً وإن كان قد تعمد على اسم المسيح إذ أن مفاعيل المعمودية في حياتنا لا تكتمل ما لم يقم الإنسان الجديد فينا. كل من يبقى في بغضة، وحسد، وإدانة، وغضب، وحزن، وشقاء، ومرارة، وتذمر، وبطر، وقساوة قلب، وتجبر، وشهوة، وكسل، وتجديف، وإلحاد، وتحزب، وجهل وما إلى ذلك من أعمال الإنسان العتيق المظلمة يبقى خارج دائرة القيامة جاهلاً بماهيتها، ومعانيها، ومفاعيلها.

كيف يكون جسد المسيح قد قام من الموت بينما مازلنا نحن أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (أف ٥:٣٠) في قبورنا؟ إن الإجابة الوحيدة على هذا السؤال هي أن كل من لم يزل عائشاً ـ بل بالأحرى ميتاً ـ في الخطيئة والشقاء والحزن واليأس هو كالغصن الجاف المطروح خارج الكرمة الحية الذي جف لعدم سريان عصارة الحياة والقيامة من الكرمة الحية إليه. فكل من يثبت في الكرمة يثبت في القيامة ويتمسك بالحياة.

والآن وقد وضعت الفأس على أصل الشجرة فلابد لكل منا أن يحسم أمره إن كان يريد أن يكون "آنية غضب مهيأة للهلاك" أم "آنية رحمة معدة للمجد"، "رائحة موت لموت" أم "رائحة حياة لحياة". "ومن يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً" (رؤ ٢٢:١٧)